﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الدّينُ الحنيفُ حريصٌ على مُعالَجةِ أخطاءِ المسلمين

لمّا كان السّياقُ للحديثِ عن صلاة الجُمُعة، وبيانِ أحكامها، وبعضِ آدابها، وكانت الآيتان السّابقتان لإثباتِ فرْضيَّتها، والتَّرغيبِ في أدائها، وإيجابِ تقديمها على البيع والشِّراء وكافَّةِ المعاملات الدُّنيويَّة اقتَضَى السّياقُ استدعاءَ ما وقَع مِن المؤمنين مِن خطأٍ فيها، ومعالجتَهُ تحذيرًا من تَكرارِهِ فيما يُستقبَلُ من جُمَعٍ؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تِجَـٰرَةً﴾: تجَرَ يَتجُرُ، تِجارةً وتَجْرًا، فهو تاجِرٌ؛ أي: مارَس البَيْعَ والشِّراء. وكذا اتَّجَرَ يَتَّجِرُ اتِّجارًا، فهو مُتَّجِرٌ، وتاجَرَ يُتاجِرُ مُتاجرةً، فهو مُتاجِرٌ، وتاجِرٌ مفردُ تِجارٍ وتُجّارٍ وتَجْرٍ، اسمُ فاعلٍ من تجَرَ: مَن يمارسُ الأعمالَ التّجاريّة بيعًا وشراءً على وجهِ الاحتراف.

والتِّجارة: مفردٌ، مصدرُ تجَرَ؛ أي: حِرفةُ التّاجِر، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النّور: 37]، والتِّجارة: تحريكُ المال بالبيع والشِّراء لغرض الرِّبح، والتِّجارة: ما يُتَّجَرُ فيه[1]. والمقصودُ بـ﴿تِجَـٰرَةً﴾: عيْرَ تجارةٍ، أو حُمولًا هي موضعٌ للتِّجارة[2].

2) ﴿لَهْوًا﴾: اللهْوُ: ما لهَوْتَ بِهِ وشغَلَكَ مِن هوًى، وطَرَب، ونَحْوِهما، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ قيل: اللهْوُ: الطَّبْلُ،

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (تجر).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 644، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 69.

وقيل: اللهْوُ: كلُّ ما يُلْهَى بِهِ. لَها لَهْوًا والتَهى وألْهاه ذَلِك، والمَلاهي: آلات اللهْوِ، وقد تَلاهَى بذلك[1]. فمعنى ﴿لَهْوًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾: ما يُتَلهَّى به عن الجمعة، مثل الطَّبْلِ المرافق لدخول عيْرِ التِّجارة، أو غيرِهِ.

3) ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾: الفَضُّ: كَسْرُ الشَّيءِ، والتّفريقُ بينَ بعضِه وبعضِه، كفَضِّ خَتْم الكتاب، وعنه استعير: انْفَضَّ القومُ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾، وقالَ تعالى: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159][2]. فمعنى ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾: انصرفوا عنك، وخرجوا يطلُبونها.

4) ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: رزَق الله تعالى الخلْقَ، يَرزُقُهم، والرِّزق بالكسر: اسمٌ للمرزوق، والجمع الأرزاق. مثلُ: حِملٍ وأحمالٍ، وارتزَقَ القومُ: أخذوا أرزاقهم، فهم مُرتزِقةٌ[3]، والرِّزْق المذكورُ في الكتابِ والآثارِ: ما مَنحَه الله من حَلالٍ أو حرامٍ عند أهلِ السُّنَّة، وغيرُهم يَخُصُّه بالحَلالِ، واللُّغةُ لا تَقتَضيه[4]. فمعنى ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: الواهبين المانحين الخيرَ، والله تعالى أعلم.

المَعْنى الإجْماليُّ:

الخيرُ كلُّ الخيرِ للمؤمنين في تنفيذِ أوامرِ الشَّرعِ كما فَرَضها اللهُ تعالى

وإذا عَلِمَ المسلمون وهم يشهدون الجمعةَ معك - يا رسولَ الله - بِسُنوح فُرْصةٍ لاقتناصِ دُنيا مِن تجارةٍ أو غيرها تفرَّقَ بعضُهم عنك، وانصرفوا إليها، مُؤْثِرينَ إيّاها على إكمالِ الخطبة معك، وتركوك - يا رسولَ الله - على المنبرِ قائمًا تخطُبُ.

فقل لهم - يا رسولَ الله - : حضورُ الخطبةِ وأداءُ صلاة الجمعة

(1) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (لهو).
(2) الراغب، المفردات: (فض).
(3) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (الراء والزاي وما يثلثهما).
(4) البستي، عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: 1/ 571.

فيهما ثوابٌ جزيل وخيرٌ كبير، أعظمُ ممّا تنالونه من انشغالِكم بتحصيل ملذّاتِ الدُّنيا وأرباحِ تجاراتها الزّائلة؛ لأنَّ الله تعالى هو الرزّاق، القادرُ على تعويضِكم وإعطائِكم من واسعِ برِّهِ وفَيْضِ عطائِهِ، ورزقُهُ خيرٌ عطاءً وأضمنُ جزاءً؛ فاطلبوا ما عندَهُ، وآثِروه على ما عندكم؛ فما عندكم يَنفَدُ، وما عندَ الله باق.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواوِ) في جملةِ ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾:

(الواوُ) في جملةِ ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾ إمّا استئنافيَّةٌ[1] وهو الأظهرُ، حيث يلتفتُ النَّظمُ الكريم من خطاب المؤمنين في قوله تعالى قبلَها: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى خطابِ الرَّسول ﷺ هنا: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾.

مقصودُ الالتفاتِ يَتَنافى مع دلالةِ العطف

أو (الواوُ) هنا حرفُ عطفٍ[2]، وحتّى يستقيمَ العطفُ قدَّرَ البقاعيُّ محذوفًا قبل هذه (الواو) فقال: "ولمّا كان التَّقدير ممّا يَنطِقُ به نصُّ الخِطاب: هذه أوامرُنا الشَّريفةُ، وتقديساتُنا العظيمة، وتفضُّلاتُنا الكريمة العميمة، فما لهم إذا نودي لها تَوانَى بعضُهم في الإقبال إليها، وكان قلبُه مُتوجِّهًا نحوَ البيع ونحوِه من الأمور الدُّنيويَّة، عاكفًا عليها، ساعيًا بجهده إليها؟! فخالَفَ قولَهُ: إنَّه أسلَمَ لِرَبِّ العالمين فعلُهُ هذا؛ عُطِفَ عليه قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾"[3]، وهكذا يحتاجُ القولُ بأنَّ (الواو) عاطفةٌ إلى تقديرِ هذا المحذوفِ الطَّويل، الَّذي بلَغَ أربعةَ أسطُرٍ، ولا داعيَ له أصلًا؛ إذ ما لا يَحتاج إلى تقديرٍ أولى ممّا يَحتاج إلى تقدير.

وذكر ابنُ عاشور أنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾ "عُطِفَ على

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 250.
(2) الدعاس وآخرون، إعراب القرآن للدعاس: 3/ 343.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 68.

جملةِ ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ عطفَ التَّوبيخِ على تركِ المأمور به بعد ذكر الأمر[1].

على أنَّ مقصودَ الالتفات - وهو إهمالُ شأن المُلتفَتِ عنهم الَّذين انفضّوا إلى التِّجارة - يَتَنافى مع دلالةِ العطف بمواصلةِ الحديث معهم، والظّاهرُ أنَّه لا يُعطَفُ خطابُ مخاطَبٍ - هو الرَّسولُ ﷺ في جملةِ ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ - على خطابِ مخاطَبٍ آخرَ هم المؤمنون في الآيتين السّابقتين، وهذا ما يُرجِّحُ استئنافيَّةَ (الواو) هنا، والله تعالى أعلم.

نكتةُ تقييدِ رُؤيتِهم تجارةً بـ(إذا):

مِن رحمةِ الله تعالى بالمسلمين أنَّه لم يُعاقِبهم بانفِضاضِهم عن رسول الله ﷺ وهو يَخطُب

ذَكَرَ في الجنى الدّاني لـ(إذا) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ توجيهًا يَتَّسِقُ مع مُضيِّ الواقعة؛ واقعةِ الانفضاضِ يومَ الجمعة ورسولُ الله ﷺ يخطُبُ، قال المراديُّ: "(إذا) في هذا ونحوه بمعنى إذ"[2]؛ أي: وإذ رَأوا تجارةً؛ فتكونُ (إذا) للظَّرف الماضي مطابَقَةً للواقع. قال ابن عاشور: "و(إذا) ظرفٌ للزَّمان الماضي، مجرَّدٌ عن معنى الشَّرط؛ لأنَّ هذا الانفضاضَ مضَى، وليس المرادُ أنَّهم سيعودون إليه بعدما نزَلَ هذا التَّوبيخُ وما قبلَهُ من الأمرِ والتَّحريضِ"[3].

ولعلَّ في (إذا) في جملةِ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾ دلالةً على القطعِ بقَسْوَةِ الظُّروفِ الَّتي حمَلَتِ المسلمين على الانفضاضِ، فلم يُعاقَبوا، بل ليموا، وعوتِبوا فقط؛ رحمةً من الله تعالى بأمَّةِ حبيبِهِ ﷺ.

دلالةُ الرُّؤيةِ في ﴿رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾:

الرُّؤيةُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ رؤيةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 227.
(2) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص: 371.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 229.

عِلميَّةٌ سماعيَّةٌ؛ لأنَّ "التِّجارة واللّهو لا يُرَيان في الحقيقة، وإنما يُرَى اللّاهي والتّاجرُ، ولكنَّه ذكَرَ فيه الرُّؤيةَ؛ لقُربِ اللّهوِ من اللّاهي والتِّجارةِ من التّاجر"[1].

للرُّؤيةِ مِن قوَّةِ التَّأثيرِ ما ليس للسَّماعِ بالشَّيءِ أو العِلْمِ به

كذلك في إيثارِ التَّعبيرِ بفعل الرُّؤيةِ على التَّعبيرِ بفعلِ العِلم أو السَّماع تنبيهٌ إلى قوَّةِ تأثيرِ الرُّؤية، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعايَنَةِ»[2]، وكأنَّ شدَّةَ الفاقة ومعاناةَ الجوع الَّذي أصاب القومَ قد رفع من تأثيرِ السَّماع والعلم بقُدوم العيرِ بالتِّجارة إلى مستوى تأثيرِ الرُّؤية لو كانوا رَأوها؛ كنايةً عن قسوةِ الحال؛ ليَتقرَّرَ من لَوْمِهم مع تلك الحالةِ الشَّديدةِ وجوبُ تقديرِ الجمعة وعدمُ التَّهاون في أدائها بِشِقَّيْها: الخطبةِ والصَّلاةِ، واللّه تعالى أعلم.

دلالةُ الالتفاتِ في جملةِ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً﴾:

التَفَتَ النَّظمُ الكريمُ في قوله تعالى هنا: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ إلى خطابِ الرَّسول ﷺ بعدَ خطابِ المؤمنين فيما سبَقَ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ "إيذانًا بأنَّهم أحرياءُ أن يُصرَفَ الخطابُ عنهم؛ فحُرِموا من عزِّ الحضور، وأُخبِرَ عنهم بحالِ الغائبين، وفيه تعريضٌ بالتَّوبيخ. ومقتضى الظّاهرِ أنْ يُقالَ: وإذا رأيتُم تجارة أو لهوًا فلا تنفضّوا إليها، ومن مُقتضياتِ تخريجِ الكلام على خلافِ مقتضَى الظّاهر هنا أن يكون هذا التَّوبيخُ غيرَ شاملٍ لجميع المؤمنين؛ فإنَّ نفرًا منهم بَقوا مع النَّبيِّ ﷺ حينَ خُطبته، ولم يَخرُجوا للتِّجارةِ ولا للهوِ"[3].

العُصاةُ جَديرون بالحِرْمانِ من عِزِّ الحُضور

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿تِجَٰرَةً﴾:

التِّجارةُ: تحريكُ المالِ بالبيع والشِّراء لغَرَضِ الرِّبح. والتِّجارة:

قـوَّةُ تأثيرِ المالِ، وسَطْوةُ سُلطانِهِ على النُّفوس

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 15.

(2) ابن حنبل، مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ: 3/ 341، برقم: (1842).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 227.

ما يُتَّجَرُ فيه[1]، والتَّعبيرُ بـ﴿تِجَـٰرَةً﴾ يوحي بقوَّةِ تأثير المال، وسَطْوةِ سُلطانِهِ على النُّفوس، لكنَّها أمامَ المؤمنِ زهيدةُ القيمةِ، لا سلطانَ لها عليه؛ لأنَّه يعلمُ أنَّ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

والمقصودُ بـ﴿تِجَـٰرَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾: "عيرَ تجارةٍ"[2]، ففي التَّعبيرِ بها مجازٌ مرسَلٌ علاقتُهُ المُجاورة، أو: "حُمولًا هي موضعٌ للتِّجارة"[3]، ففي التَّعبيرِ بها مجازٌ مرسَلٌ علاقتُهُ المُسبَّبيَّة.

معنى ﴿أَوْ﴾ في قولِهِ: ﴿أَوْ لَهْوًا﴾:

مَـن تـنـازَلَ عن شـيءٍ من دينِهِ لـسـبـبٍ قـويٍّ مُـؤهَّـلٌ للتَّنازُلِ عـنـه لـسـبـبٍ ضعيف

﴿أَوْ﴾ في قولِهِ: ﴿تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ للتَّقسيم، وتنويعِ أحوالِ المُنفضّين؛ إيحاءً بضَعفِ إيمانِ مَن انفَضّوا من المسجد ورسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلَّم يخطب؛ إذ إنَّ خروجَهم واردٌ لأيِّ سببٍ وبأيِّ نوعٍ من أنواعِ المُغريات.

و"لعلَّ التَّقسيمَ الَّذي أفادَتْهُ ﴿أَوْ﴾ في قولِهِ: ﴿أَوْ لَهْوًا﴾ تقسيمٌ لأحوالِ المنفَضّين؛ إذ يكونُ بعضُهم مِن ذَوي العائلات؛ خرجوا ليَمْتاروا لأهلِهم، وبعضُهم مِن الشبابِ لا هِمَّةَ لهم في الميرة، ولكن أحبّوا حُضورَ اللّهو"[4].

ويُشْتَمُّ في ﴿أَوْ﴾ عتابٌ مُرٌّ قاسٍ؛ إذ تُفصِحُ عن ضعفِ إيمانِ مَن انفَضَّ في أثناءِ الخُطبة، إلى درجةِ أنَّ ﴿لَهْوًا﴾ يمكنُ أن يَجتَذِبَهم إليه، وليس ﴿تِجَـٰرَةً﴾ قد يكونُ لها بعضُ الضَّرورة؛ ففي ﴿أَوْ﴾ تَنَزُّلٌ برُتبةِ أولئك النَّفرِ الَّذين انفضّوا وتركوه ﷺ قائمًا على المنبرِ يخطُبُ.

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (تجر).
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 644.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 69.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 229.

وقد التَفَتَ البقاعيُّ إلى هذه الإشارة فقال: "ولمّا ذكَرَ ما مِن شأنِه إقامةُ المعاشِ أتبَعَهُ ما هو أنْزَلُ منه، وهو ما أقلُّ شُؤونِه البِطالةُ الَّتي لا يَجنَحُ إليها ذو قَدْرٍ ولا يُلقي لها بالَهُ، فقال: ﴿أَوْ لَهْوًا﴾؛ أي: ما يُلهي عن كلِّ نافعٍ"[1].

وفي ﴿أَوْ﴾ إضافةً إلى ذلك إشارةٌ إلى أنَّ مَن تَنازَلَ عن شيءٍ مِن دينه لسببٍ قويٍّ فإنَّ لديه استعدادًا للتَّنازُلِ عنه لِسببٍ ضعيف، والعياذُ باللّه تعالى.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿لَهْوًا﴾:

التَّعبيرُ بـ﴿لَهْوًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ يعني: "ما يَشغَلُ الإنسانَ مِن هزْلِ الأمور عن جِدِّها"[2]، "لعبًا كان، أو طبلًا، أو مزمارًا، أو غناءً"[3]، و"كانوا إذا أقبَلَتِ العيرُ استقبَلوها بالطَّبلِ والتَّصفيق، وهو المرادُ باللّهوِ"[4]، واللّه تعالى أعلم.

اللّهوُ نقيضُ التِّجارة؛ إذ لا نفعَ فيه، وكِلاهما يَحرُمُ تركُ الخُطبةِ والصَّلاةِ لأجلِهما

على أنَّ بينَ ﴿تِجَـٰرَةً﴾ و﴿لَهْوًا﴾ نوعَ طباقٍ؛ وذلك من حيث إنَّ قولَهُ: ﴿تِجَـٰرَةً﴾ يدلُّ على الجِدِّ، وقولَهُ: ﴿لَهْوًا﴾ يدلُّ على الهزلِ، والتِّجارةُ نفْعٌ واللّهوُ ضُرٌّ، وذكرُ أحدِهما بإزاءِ الآخرِ يُحدِثُ في النَّفسِ يَقَظةً، والجمعُ بينهما في قَرْنٍ جمْعٌ بين جميعِ الصَّوارفِ على الإطلاق، وإناطةٌ لحكمِ تحريمِ مُفارقةِ الخُطبةِ والصَّلاةِ بها جميعًا حتّى تَنقَضيا وتَتِمّا.

نكتةُ تقديمِ رؤيةِ التِّجارةِ على اللّهو:

قُدِّمَتْ رُؤيةُ التِّجارةِ على اللّهوِ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ لأنَّ اللّهوَ والطَّبلَ والطَّربَ المُصاحِبَ للتِّجارة إنَّما كان لأجلِها؛ فهي المقصودةُ، وإنَّما "المرادُ من اللّهوِ نفسُ التِّجارة؛ فاعتُبِرَ

للتِّجارةِ وما يُؤَمَّلُ مِن أرباحِها قوَّةُ تأثيرٍ ليست لغيرِها مِن الصَّوارِف

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 69.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 953.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 11.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 250.

خروجُهم لِتَلَقّيها لَهوًا تهجينًا له؛ لِما فيه من الإعراض عنه ﷺ، ولِهذا رجع الضَّمير مؤنَّثًا في قوله: ﴿إِلَيۡهَا﴾ - أي: إلى التِّجارة - ولم يُذَكَّرْ ليَرجِعَ إلى اللّهوِ؛ لأنَّه لم يُقصَدْ لذاتِه، بل لِتَقْبيحِ خروجهم للتِّجارة أثناءَ الخُطبةِ؛ لمشاهدةِ ما جاءَ فيها أو للشِّراءِ منها، فإنَّ رِزْقَهم منها مكتوبٌ عند الله تعالى، فلا وجهَ لتَرْكهم سماعَ الخُطبةِ والانصرافِ إليها"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالانفِضاض، ولطيفةُ إسنادِهِ إلى ضميرِ الجماعة:

مَن أحَبَّ الدُّنيا وانغَمَس فيها مَشَى في حياتِهِ على غيرِ نِظام

الانفِضاضُ: التَّفرُّقُ في عجلةٍ، وفي غيرِ نظام[2]، و﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ يعني: ذهبوا، أو تفرَّقوا. فمَن جعَلَ معناه: ذهبوا أرادَ التِّجارةَ، ومَن جعَلَ معناه: تفرَّقوا أرادَ: عن الخُطبةِ، وهذا أفصحُ الوجهين[3]، وأسرَعوا إلى التِّجارة[4]؛ خشيةَ أن يُسبَقوا إليها[5].

و"الَّذي سَوَّغَ لهم الخروجَ وترْكَ الرَّسول ﷺ يخطُبُ أنَّهم ظنّوا أنَّ الخروج بعدَ تمام الصَّلاةِ جائزٌ؛ لانقضاءِ المقصودِ وهو الصَّلاةُ؛ لأنَّه كان ﷺ في أوَّلِ الإسلام يُصلّي الجمعةَ قبلَ الخُطبة كالعيدين، فلَمّا وقعَتْ هذه الواقعةُ ونزلَت الآيةُ قَدَّمَ الخُطبةَ وأخَّرَ الصَّلاةَ"[6].

وفي إسنادِ فعلِ الانفِضاضِ إلى واوِ الجماعة دليلٌ على كثرةِ المُنْفَضّين عن رسولِ الله ﷺ، وإلّا لقيل: انفَضَّ بعضُهم إليها، فعن جابرِ بن عبد الله ﷺ قال: بينا النَّبيُّ ﷺ قائمٌ يومَ الجمعةِ إذ قَدِمَتْ عيرٌ إلى المدينةِ، فابتَدَرَها أصحابُ رسول الله ﷺ، حتّى لم يبقَ معه إلّا اثنا عشرَ رجلًا فيهم أبو بكرٍ وعمرُ. قال: ونَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾[7].

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1421.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 953.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 12.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 644.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 231.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 391.
(7) مسلم، صحيح مسلم، كتابُ الجُمُعَةِ: 2/ 590، برقم: (38/ 863).

نكتةُ تنكيرِ ﴿تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا﴾ هنا، وتعريفِهما في قولِهِ: ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾:

ضَعْفُ الإيمانِ يَجُرُّ إلى المعصية

نكتةُ تنكيرِ ﴿تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا﴾ في أوَّلِ الآية الكريمة ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ الدَّلالةُ على ضعفِ إيمانِ الَّذين ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾؛ إذ يَهتَزُّ دينُهم لأضعفِ لهوٍ، وأيسرِ تجارةٍ.

بينَما عُرِّفَ ﴿ٱللَّهۡوِ﴾، و﴿ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ في قوله تعالى بعدُ: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ أخطرَ ﴿ٱللَّهۡوِ﴾ وأكملَ ﴿ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ لا يُساوي شيئًا بالنِّسبةِ لـ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعالى، بل يَظَلُّ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه خيرًا منهما، واللّٰهُ تعالى أعلم.

نكتةُ تعديةِ الفعلِ في ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ بـ(إلى):

مُحِبُّ الدُّنيا غايتُهُ المَيْلُ إلى المالِ والملَهيات

في تعديةِ الفعلِ في ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ بـ(إلى) في جملةِ ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ إفادةُ الغائيَّة، وأنَّ منتهى غايتِهم كانت عَرَضًا دنيويًّا حقيرًا مُقارَنةً بما استبدلوا به ذاك العَرَضَ؛ فمعنى ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: "تفرَّقوا عنك خارجين إليها، وقال المبرِّدُ: مالوا إليها"[1]؛ أي: أنَّ فعلَ الانفضاضِ مُضمَّنٌ معنى فعلِ المَيْل، وهو يَحتمِلُ الميلَ الجسديَّ والرّوحيَّ معًا.

مَرجِعُ الضَّميرِ في ﴿إِلَيۡهَا﴾:

التِّجارةُ أكثرُ إلهاءً مِن غيرِها؛ لأنَّ المالَ شقيقُ الرّوح

والضَّميرُ في ﴿إِلَيۡهَا﴾ راجعٌ إلى ﴿تِجَٰرَةً﴾، وكان ظاهرُ السّياقِ يَقتضي ضميرَ المثنّى فيقال: انفضّوا إليهما؛ أي: إلى التِّجارةِ واللّهوِ؛ وإنَّما "خُصَّتْ بردِّ الضَّميرِ إليها لأنَّها كانتْ أهمَّ إليهم"[2]، و"لأنَّ الانفضاضَ للتِّجارةِ مع الحاجةِ إليها والانتفاعِ بها إذا كان مذمومًا فما ظنُّكَ بالانفضاضِ إلى اللّهوِ وهو المذمومُ في نفسه؟!"[3]، "ولأنَّه قد تَشغَلُ التِّجارةُ عن العبادةِ ما لا يَشغَلُهُ اللّهوُ"[4].

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 301.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 301.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 250.
(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 126.

وفي الكلام حَذْفٌ، و"تقديرُهُ: إذا رَأوا تجارةً انفضّوا إليها، أو لهوًا انفضّوا إليه؛ فحُذِفَ أحدُهما لدلالةِ المذكورِ عليه، وكذلك قراءةُ مَن قرَأ: (انفضّوا إليه)، وقرئ: (إليهما)"[1].

و"قال الأنباريُّ: ولم يُؤثِرِ الأوَّلُ بالعائدِ في القرآن كلِّه إلّا في موضعٍ واحد، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾، معناه: إليهما، فخَصَّ التِّجارةَ بالعائدِ؛ لأنَّها كانت سببَ الانفِضاضِ عنه ﷺ وهو يخطُب"[2].

معنى (الواوِ) في قولِهِ: ﴿وَتَرَكُوكَ﴾:

(الواوُ) في قولِهِ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ تَحتمِلُ أنْ تكونَ حاليَّةً من فاعلِ ﴿ٱنفَضُّوٓا۟﴾ و(قد) مقدّرةٌ؛ أي: انفضّوا إليها وقد تركوك قائمًا؛ أي: انفضّوا إليها تاركين إيّاك قائمًا. وتَحتمِلُ أنْ تكونَ عاطفةً، مَنسوقةً على سَوابِقِها[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ التَّرْكِ ﴿وَتَرَكُوكَ﴾:

وفي التَّعبيرِ بفعلِ التَّركِ تفظيعٌ لِفعلِهم؛ إذ فرَّطوا في سماعِ وعْظِ النَّبيِّ ﷺ؛ أي: تركوك قائمًا على المنبر، وذلك في خُطبةِ الجمعة، وفي هذا تهاونٌ بخُطبةِ الجمعة وهي مُعظَّمةٌ عند الله تعالى، فالتَّركُ فيه معنى التَّهاون. وهذه الآيةُ تدلُّ على وجوبِ حضورِ الخُطبةِ في صلاة الجمعةِ؛ إذ لم يَقُل: وتركوا الصَّلاة[4].

مَرجِعُ ضميرِ الغَيْبةِ في قولِهِ: ﴿وَتَرَكُوكَ﴾:

ضميرُ الغَيْبةِ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ يرجعُ إلى سوقةِ القومِ وسَفِلَتِهم، ولم يكونوا عرفوا حقَّ الخِطابِ وحقَّ الخُطبةِ عليهم، وكانت تلك تجارةً يَأمُلون منها منافعَ لو لم يُبادِروا

تَـرْكُ النَّبيِّ ﷺ بـكـلِّ الأحـوالِ خـطـأٌ جسيـمٌ اسـتَـوجَـبَ العتابَ من الله تعالى

من أفظعِ الآثامِ الخروجُ والإمامُ يَخطُبُ مِن دونِ ضرورةٍ شَرْعيَّة

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 537.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 31.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 94.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 229.

إليها لذَهَبَتْ عنهم، فإنَّما خرجوا من المسجدِ جَهْلًا منهم بحقِّ الخُطبةِ والخاطبِ.

ولم يكونوا من أجِلَّةِ القوم، ولا صاحَبوا أجلَّتَهم ليعرفوا حقَّ الخُطْبةِ والخاطبِ، فانفلَتَتْ منهم الزَّلَّةُ، فأمّا الَّذين كانوا من أجِلَّةِ الصَّحابةِ رضوان اللّه عليهم أجمعين ومن علمائِهم فلم يَنفِرْ واحدٌ منهم.

مَرجِعُ ضميرِ الخِطابِ في قولِهِ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾:

الخِطابُ القرآنيُّ لغيرِ معيَّنٍ يَتَوجَّهُ إلى رسولِ الله ﷺ، وقد يَتَّسِعُ لسِواه

ضميرُ الخطابِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ يَرجِعُ إلى الرَّسول ﷺ، "يقولُ للنَّبيِّ ﷺ: وتركوك - يا محمَّدُ - قائمًا على المنبر، وذلك أنَّ التِّجارة الَّتي رَأوها، فانفضَّ القومُ إليها، وتركوا النَّبيَّ ﷺ قائمًا كانت زَيْتًا قَدِمَ به دِحيَةُ بنُ خليفةَ من الشّام"[1].

وكونُ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ لغيرِ مُخاطَبٍ معيَّنٍ يَعني: أنَّ المقصودَ به رسولُ اللّه ﷺ؛ لأنَّه المخاطبُ الأوَّلُ بالقرآن الكريم، ثمَّ قد يَتَّسِعُ الخطابُ القرآنيُّ لسِواهُ، وقد يَبقى خاصًّا به ﷺ.

دلالةُ القيامِ في ﴿قَآئِمًا﴾، وموقعُهُ من التَّركيب:

مُقابَلةُ الإحسانِ بالإساءةِ سوءُ خُلُقٍ، وتقديمُ الفاني على الباقي حُمْقٌ تَصَرُّف

القيامُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ يَعني: ﴿قَآئِمًا﴾ تخطُبُ، "وفيه دليلٌ على أنَّ الخطيبَ ينبغي أنْ يخطُبَ قائمًا"[2].

وفي التَّعبيرِ بالقيام تبشيعٌ لانصرافِ الَّذين ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ عنه ﷺ؛ إذ إنَّه قائمٌ وهُم جلوسٌ، وهو يَبذُلُ لهم النُّصحَ ويُقدِّمُ لهم العِلمَ وهم يَنشغِلون بدُنيا زائلةٍ؛ وتلك الدَّلالاتُ كانت ستَفوتُ بغيابِ مُفردةِ القيام لو عُبِّرَ بالخُطبةِ مُباشَرةً، كما لو قيل في غير القرآن الكريم: وتركوك تخطُبُ، وكان يَفوتُ حينَئذٍ أيضًا حُكمُ الخُطبةِ قائمًا.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 645.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 483.

و﴿قَآئِمًاۚ﴾ منصوبٌ على الحالِ مِن ضميرِ الخطابِ في (تركوك)، أو مفعولٌ ثانٍ للفعل (تركوك) بتعديتِهِ إلى مفعولين.

علَّةُ فَصْلِ قولِهِ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾:

فُصِلَ قولُهُ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ عن قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾؛ لِما بينهما من كمالِ الانقطاعِ الأسلوبيِّ؛ إذ الأولى شرطيَّةٌ إخباريَّةٌ، والثّانيةُ إنشائيَّةٌ طلبيَّةٌ، وإنْ كانت الثّانية علاجًا لِما تتضمَّنُهُ الأولى من اختلالٍ في عبادةِ المُتحدَّثِ عنهم هنا؛ إذ "أرشَدَهم بعدَ التَّوبيخِ والتَّعييرِ إلى تَحَرّي الأصوبِ، وتَوَخّي المَنهَجِ الأقومِ على سبيلِ العموم"[1].

كمالُ الانقِطاعِ بينَ جملتينِ لا يقتضي الانبِتاتَ التّامَّ بينَ معنَيَيْهِما، بل الانقطاعَ بينَ مَهْيَعَي الأسلوبين

لذلك لا يَعني كمالُ الانقطاعِ انبِتاتًا تامًّا بين معنيَي الجملتين، بل هو انقطاعٌ بينَ مَهْيَعَي الأسلوبين؛ لذلك ينبغي تقييدُ (كمال الانقطاع) البلاغيِّ في مثلِ هذا بوصفِ (الأسلوبيِّ)؛ حتّى لا يَسبِقَ إلى الأوهامِ خلافُ المراد.

دلالةُ القولِ، وغرضُ الأمرِ في جملةِ ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾:

من تمامِ التِزامِ الرَّسولِ ﷺ بالتَّبليغِ حكايةُ لفظِ القولِ (قل)

الأمرُ الإلهيُّ في جملةِ ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ للوجوب؛ لأنَّه تشريعٌ يَقضي بالتَّبليغ، بل إنَّ تمامَ التِزامِ الرَّسول ﷺ تَجَلَّى في حكايةِ لفظ القولِ ﴿قُلْ﴾، مع أنَّ الظّاهرَ كان يقتضي حكايةَ مَقولِ القولِ دونَ القول، فتكون الآيةُ المَحْكيَّة: تركوك قائمًا ما عند الله خيرٌ، دون ﴿قُلْ﴾، وهذا يدلُّ على تمامِ حرصِ رسول الله على تبليغ ما فيه خيرٌ لأمَّته، صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

معنى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾:

﴿مَا﴾ في جملةِ ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ موصولةٌ، والمعنى: "قل لهم يا محمَّدُ: الَّذي عند الله - مِن الثَّوابِ لِمَن جلَسَ مُستمِعًا خطبةَ

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 15/ 421.

رسول الله ﷺ وموعظتَه يوم الجمعة إلى أنْ يَفرَغَ رسول الله ﷺ منها - خيرٌ من اللّهوِ ومن التِّجارة الَّتي يَنفَضّون إليها"[1]، وكذلك "ما عند الله تعالى من رزقِكم الَّذي قسمتُ لكم خيرٌ ممّا أصبتُموه بانفِضاضِكم مِن لَهْوِكم وتجارتِكم"[2].

ما عندَ الله تعالى من خيراتٍ وأرزاقٍ، مِن التَّنوُّعِ والكثرةِ بحيثُ لا يُحاطُ به وصفًا ولا عَدًّا

ففي التَّعبيرِ بـ﴿مَا﴾ إيجازٌ بالغُ التَّطمين للمؤمنين؛ إذ يفيدُ أنَّ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعالى من خيرٍ ورزقٍ هو مِن التَّنوُّع والكثرةِ بحيث لا يُحاط به وصفًا ولا عدًّا، وعلى ذلك فلا قيمةَ لتجارةٍ تَشغَلُ، ولا لِلَهْوٍ يُلهي.

نكتةُ التَّعبيرِ بالعنديَّةِ، ولطيفةُ الإضافةِ في ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾:

في التّعبيرِ بِالعِنْديَّةِ، والإضافةِ إلى الاسم الجليل في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ بيانٌ لـ"نَفْعٍ محقَّقٍ مخلَّدٍ، بخلاف ما فيهما - أي: التِّجارةِ واللّهوِ - مِن النَّفعِ المُتوهَّم"[3].

ما عندَ الله تعالى نفعُهُ مُحقَّقٌ ومُخلَّد، بخلافِ ما في التِّجارة وغيرِها

ففي تلك العنديَّة تطمينٌ للعبد المؤمن - باللّه تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا - إلى ضمانِ الرِّزقِ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعالى، والثِّقةِ في يُسرِ وصولِهِ إليه، حتّى يصيرَ عنده أوثَقَ ممّا بينَ يديه من التِّجارةِ وأرباحِها المَنظورة، وإلّا لكان العبدُ ناقصَ الإيمان.

دلالةُ الخيريَّة، ولطيفةُ التَّفضيلِ في قولِهِ: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾:

﴿خَيْرٌ﴾ في جملةِ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ اسمُ تفضيلٍ، مِن الخيريَّة؛ أي: ما عندَ الله تعالى أفضلُ ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ من كافَّةِ الاعتبارات، وفي هذه المفاضَلَةِ بأفعلِ التَّفضيلِ ﴿خَيْرٌ﴾ مفاضلةٌ بين شيئين: أحدُهما خيرُهُ يكادُ يكونُ معدومًا؛ إذ لا أحدَ يَقدِرُ على أن يَرزُقَ نفسَهُ فضلًا عن أنْ يَقدِرَ على أن يَرزُقَ غيره،

مَن يَختَرْ موهومَ الخيريَّةِ على مَن بيدِهِ الخيرُ كلُّهُ فهو مَأْفونٌ خاسِر

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 649.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 12.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 250.

والآخَرُ خيرُهُ هو كلُّ الخيرِ، ففي تلك المفاضلةِ إظهارُ ما بينَهُما من شُسوعٍ، يُزري بمَن يختارُ موهومَ الخيريّةِ على مَن بيدِهِ الخيرُ كلُّه.

معنى ﴿مِّنَ﴾ في قولِهِ: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾:

﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ ابتدائيَّةٌ؛ أي: أنَّ الخيرَ يَبدأُ حيث يَنتهي الانشغالُ باللّهوِ والتِّجارة، ولا خيرَ فيهما، واللّه تعالى أعلم.

لا خيرَ للمؤمنِ في الانشغالِ بغيرِ الخُطبةِ والصَّلاةِ مِن أسباب

نكتةُ إعادةِ (مِن) مَعَ ﴿ٱلتِّجَٰرَةٌ﴾:

وفي إعادةِ (مِن) مع ﴿ٱلتِّجَٰرَةٌ﴾ تأكيدٌ لانعدامِ الخيريَّةِ في الانشغالِ وقتَ الخُطبةِ والصَّلاةِ بغيرِهما، وأنَّ الخيريَّةَ تبدأُ حيث يَتَجاوزُ العبدُ المؤمن تلك الأسبابَ الدُّنيويَّةَ الشّاغلةَ عن عبادة الجمعة في حينِها، واللّه تعالى أعلم.

الخيريَّةُ تبدأُ حيث يَتَجاوزُ المؤمنُ الأسبابَ الدُّنيويَّةَ الشّاغلةَ عن الجُمُعةِ في حينها

براعةُ تقديمِ ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ على (مِن التِّجارة):

قُدِّم القيدُ ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ على القيدِ (من التِّجارة) هنا في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةٌ﴾، بينَما قُدِّمت (التِّجارةُ) على (اللّهو) في صدرِ الآية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾؛ "لأنَّ رؤيتَها كانت الباعثَ الأعظمَ على الانفضاض إليها، وتَرْكِ الرَّسول ﷺ قائمًا يَخطُبُ على المنبر"[1]، بينَما قُدِّم ﴿ٱللَّهْوِ﴾ هنا لأنَّه أقوى مَذَمَّةً، فناسَبَ تقديمُهُ في مقامِ بيانِ الذَّمّ[2]، وبيانِ أنَّ الانفِضاضَ إليه - وهو عديمُ المنفعةِ - أدخلُ في بابِ الذَّمِّ من الانفِضاضِ إلى ما فيه منفعةٌ - وهي التِّجارة - وإنْ كان الانفِضاضُ إلى كليهما خطيئةً. وكذلك بدَأ به "لإقبالِ الأغلبِ في حالِ الرَّفاهيةِ عليه"[3].

الانشغالُ بما يَنفَعُ دُنيويًّا أهونُ مِن الانشغالِ بما لا يَنفَعُ، وإنْ كان الانشغالُ بهما جميعًا خَطيئةً

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 391.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 231.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 71.

وكذلك في تقديم ﴿ٱللَّهۡوِ﴾ وتأخير ﴿ٱلتِّجَٰرَةً﴾ هنا "إرادةُ الإطلاقِ في كلٍّ واحدٍ، واستقلالِه فيما قُصِدَ منه التَّخالُفُ السّابقُ في اتِّحادِ المعنى؛ لأنَّ ذلك في قصَّةٍ مخصوصةٍ كما رَوينا عن الأئمَّة"[1].

وقد يكونُ الغرضُ في مثلِ ذلك مُتعلِّقًا بالمُؤخَّرِ ﴿ٱلتِّجَٰرَةً﴾ دون المُقدَّم ﴿ٱللَّهۡوِ﴾؛ "لقصدِ أنْ يقعَ البَداءةُ والختْمُ به؛ للاعتناءِ بِشأنِه"[2]؛ أي: في مَقامِ الذَّمّ.

معنى (الواوِ) في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

(الواوُ) في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ "استئنافيَّةٌ"[3]، وجملةُ الاستئنافِ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ جاءَتْ تذييلًا؛ لتأكيدِ معنى جملةِ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾، ومبيِّنةً سببَ تلك الخيريَّة، وأنَّ ما عنده سبحانه خيرٌ؛ لأنَّه تعالى ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

ما عندَ خيرِ الرّازقين ﷺ قَطْعًا خيرٌ وأفضلُ ممّا عندَ سِواه

وهذه الجملةُ المستأنَفةُ جاريةٌ مَجرى المَثَل، فهي تذييلٌ لِما قبلَها ببيانِ السَّببيَّة من ناحية، ومستقلَّةٌ من ناحيةٍ أُخرى صالحةٌ لإطلاقِ معناها بغضِّ النَّظرِ عمّا قبلَها.

أو (الواوُ) في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ "حاليَّةٌ"[4]؛ أي: لا تَنفَضّوا عن الخُطبةِ لِطلب الدُّنيا، بل اطلُبوا بحضورِ الخُطبة والصَّلاة ما عند الله تعالى؛ فما عنده سبحانه خيرٌ من اللّهو ومن التِّجارةِ مُقدَّمًا سبحانه على كلِّ مَن سِواهُ من الرّازقين غيرَ مُنازَعٍ في ذلك.

دلالةُ الخيريَّةِ في جملةِ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

التَّعبيرُ بـ﴿خَيۡرُ﴾ في جملةِ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ "مِن قَبيلِ ﴿بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التّين: 8]، و﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون:

لا رازقَ إلّا الله، وإنَّما عُبِّرَ بصيغةِ التَّفضيلِ (خيرُ الرّازقين) افتراضًا لِنُكتة

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 15/ 421.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 286.
(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 250.
(4) الدعاس، وآخرون، إعراب القرآن للدعاس: 3/ 343.

14]، والمعنى: إنْ أمكَنَ وجودُ رازقين فهو خيرُ الرّازقين، وقيل: لفظُ الرّازق لا يُطلَقُ على غيره إلّا بطريقِ المجاز، ولا يُرتاب في أنَّ الرّازقَ بطريقِ الحقيقةِ خيرٌ من الرّازق بطريق المجاز"[1].

و"جائزٌ أنْ يُضافَ الرَّزقُ والخَلْقُ والحُكمُ إلى العبيدِ مجازًا، فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ممَّن يَرزُقُكم؛ لأنَّ غيرَهُ من الخلقِ إنَّما يَرزُقُ غيرَهُ من رزقِهِ، ويَعدِلُ بحُكمِهِ، ويَفعَلُ بتوفيقِهِ وتسديدِه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ الَّذين يَرزُقون من رزقِهِ، واللّه أعلم"[2].

وبذلك تَنحصِرُ خيريَّةُ الرّزقِ فيما عندَ اللّه تعالى دونَ سِواه؛ إذ لا رازقَ سِواه أصلًا، وإنَّما خُرِّجَتْ صيغةُ التَّفضيل في ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ على سبيلِ الافتراض؛ زجرًا لهم وردْعًا عن التَّعلُّقِ بما عندَ غيرِهِ تعالى.

معنى (أل) في ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ودلالةُ التَّعبيرِ بمُفردةِ الرّزق:

اللـهُ سبحانه خيرُ مَـن رزَقَ وأعطَى، ورزقُ الله تعالى خيرُ الأرزاق

(أل) في ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تعريفيَّةٌ لاستغراقِ الجنس، تَستدعي دخولَ جميعِ الرّازقين - على التَّجوُّزِ في تسميتِهم رازقين - تحت (أل) هذه، واندراجَهم تحتَ طَرَفِ المُفضَّلِ عليه، على أنَّ "لفظ الرّازق لا يُطلَقُ على غيره تعالى إلّا بطريقِ المجاز، ولا يُرتابُ في أنَّ الرّازقَ بطريقِ الحقيقةِ خيرٌ من الرّازق بطريقِ المجاز"[3].

وقولُهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ "يَحتمِلُ وجهين، **أحدُهما:** أنَّ اللّه سبحانه خيرُ مَن رزَقَ وأعطَى. **الثّاني:** أنَّ رزقَ اللّهِ خيرُ الأرزاق"[4]، "فإليه اسعَوْا، ومنه اطلُبوا الرِّزق"[5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 544.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 17.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 544.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 12، بتصرف يسير.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 250.

نكتةُ تذييلِ الآية بهذا الخبرِ:

اللهُ تعالى يَرزُقُ مَـن يَـرضَى عنه الرِّزقَ سليمًا من الأكدارِ والآثام، ويـرزُقُـه خيرَ الدُّنيا والآخرة

ذُيِّلَتِ الآيةُ الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ تنبيهًا إلى "أنَّ اللهَ تعالى يَرزُقُ الرِّزقَ لمَن يَرضَى عنه سليمًا من الأكدار والآثام، وأنَّه يَرزُقُ خيرَ الدُّنيا وخيرَ الآخرة، وليس غيرُ الله قادرًا على ذلك، والنّاسُ في هذا المقام درجاتٌ لا يَعلَمُها إلّا الله، وهو العالمُ بالسَّرائر"[1].

فالخبرُ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يَدعَمُ معنى جملةِ ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾؛ "أي: فاعملوا للأعْراضِ الباقيةِ عنده؛ فإنَّها خيرٌ من الأمورِ الفانيةِ عندكم، وفَوِّضوا أمرَ الرِّزقِ إليه بالتَّوكُّلِ والثِّقةِ بفضلِه؛ فإنَّه خيرُ الرّازقين".[2]

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البيع والتِّجارة:

التِّجارةُ تُطلَقُ عـلى الـبـيـع والـشِّـراء، ويُـشـتَرَطُ فيها الـرِّبـحُ، فهي أعـمُّ، والـبـيـعُ أخصّ

التِّجارةُ مصطلحٌ عامٌّ؛ لأنَّ صناعةَ التّاجر قد يَقع فيها البيعُ وقد يقعُ فيها الشِّراء، وخُصَّ البيعُ؛ لأنَّ الرِّبحَ فيه مُتيقَّنٌ، وفي الشِّراء مظنونٌ، فالبيعُ أدخَلُ في الإلهاء. وقيل: أرادَ بالتِّجارةِ الشِّراءَ؛ إطلاقًا لاسم الجنس على النَّوع. وقال الفرّاءُ: التِّجارةُ لأهل الجَلَب، يقال: تَجَرَ فلانٌ في كذا، إذا جَلَبَهُ مِن غيرِ بلدِه[3].

ويُشترَطُ في التِّجارة قصدُ الرِّبح، أمّا البيعُ فقد يكونُ اضطِرارًا لأمرٍ طارئ.

الانفِضاض والتَّفرُّق:

الانـفِـضـاضُ: الانصرافُ وتفرُّقُ أبْعاضِ الشَّيء، والـتَّـفـرُّقُ: التَّباعُدُ مع تدابُرٍ أو مِن دونه

الفَضُّ: كَسْرُ الشَّيءِ، والتَّفريقُ بينَ بعضِه وبعضِه، كفَضِّ خَتْمِ الكتاب، وعنه استُعير: انْفَضَّ القومُ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾، وقال تعالى: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: 159][4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 230.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 231.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 200.
(4) الراغب، المفردات: (فض).

والتَّفرُّقُ: التَّباعُدُ، تفرَّقَ القومُ: تباعدوا، وتشتَّتوا، وذهَبَ كلٌّ مِنهم في اتِّجاهٍ، عكسُهُ تجمَّعوا، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: 103]؛ أي: ولا تَتَقاطعوا ولا تَتَدابروا، وقال تعالى: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: 39]؛ أي: مُتعدِّدون مختلفون، وفرَّقَ بينَهُما: باعَدَ بينهما، وفصَلَ بينهما، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [البقرة: 102]، وفرَّقَ الأشياءَ والنّاسَ: شتَّتهم وقسَّمَهم، ضدُّ جمَّعَهم، قال تعالى: ﴿فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 94][1].

اللّهو واللّعب:

"اللهْوُ واللَّعِبُ يَشْتركانِ في أنَّهما اشْتِغالٌ بِما لا يَعني من هَوًى أو طَرَبٍ حَرامًا أو لا، قيل: واللهْوُ أعَمُّ مُطْلقًا، فاسْتِماعُ المَلاهي لَهْوٌ لا لَعِبٌ، وقيل: اللَّعِبُ ما قُصِدَ بِهِ تَعجيلُ المَسَرَّةِ والاسترواحُ بِهِ، واللهْوُ: ما شغَلَ مِن هَوًى وطَرَبٍ وإنْ لم يُقصَدْ بِهِ ذلكَ"[2].

اللّهوُ ما يَشغَلُ الإنسانَ عمّا يَهُمُّه ويَعنيهِ، واللَّعِبُ طلبُ المَزْحِ بما لا يَحسُنُ أنْ يُطلَبَ به

واللّهوُ ما يَشغَلُ الإنسانَ عمّا يَهُمُّهُ ويَعنيه، واللَّعِبُ: طلبُ المَزْحِ بما لا يَحسُنُ أن يُطلَبَ به. قيل: واشتقاقُهُ من اللُّعاب، وهو المرورُ على غيرِ استواءٍ كلُعابِ الطِّفل[3]، وفي الكلّيّات: "واللهْوُ صَرْفُ الهَمِّ بما لا يَحسُنُ أن يُصرَفَ بِهِ، واللَّعِبُ طلبُ الفَرحِ بِما لا يَحسُنُ أن يُطلَبَ بِهِ. وقيل: اللهْوُ الاستِمتاع بلَذّاتِ الدُّنيا، واللَّعِبُ العَبَثُ، وقيل: اللهْوُ المَيْلُ عَن الجِدِّ إلى الهزْلِ، واللَّعِبُ تركُ ما يَنفَعُ بما لا يَنفَع. وقيل: اللهْوُ الإعراضُ عن الحقِّ، واللَّعِبُ الإقبالُ على الباطِل"[4].

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (فرق).
(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: (لهو).
(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 470.
(4) أبو البقاء، الكليات، ص: 799.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"